حلقات

ان التاريخ النضالي للشعب الفيتنامي، تاريخ طويل من الهزائم والانتصارات ، ولكنه ايضا تاريخ غني بالدروس التي لا غنى لحركة تحرر وطني في العالم الثالث عنها ، لانه تاريخ لنضال شعب اضطهد وسلبت حريته واستقلاله وسيادته لعشرات السنين ، ولكنه صبر ، وصمد ، وقاوم ، كبا ، ونهض اصلب عودا ، اكثر عنادا وتصميما على مواصلة النضال ومواصلة التضحيات لتحقيق هدفه المتصل بالتحرر من السيطرة الاجنبية وباستعادة استقلاله وحريته . قاوم الصينيين وقاوم المستعمر الفرنسي، قاوم الغزاة اليابانيين ، ومن ثم قاوم الاستعمار الفرنسي العائد ، في نضالات طويلة كانت تصنع الانسان الفيتنامي الجديد . وانتصر على المستعمر الفرنسي ليجد نفسه مضطرا الى عدم القاء سلاحه . ليجد انه قد فرض عليه ان يستانف نضاله ضد الامبريالية الاميركية التي ورثت الفرنسيين ، وصممت على منع تحقيق استقلال الفيتنام ووحدتها ، وانشاء قاعدة لها في الجنوب ، تكون حصنا حصينا ضد المد التحرري الوطني في تلك المنطقة .

لقد دمج الشعب الفيتنامي قتاليا ، مرحلتي نضال : النضال ضد الاستعمار الفرنسي والنضال ضد الامبريالية الاميركية . وخرج منتصرا في المرتين ، ليثبت بان الامبريالية ليست ذلك العدو الذي لا يقهر عندما يتوفر قبل كل شيء الشعب المقاتل ، وان في قدرة شعب صغير ومتخلف فقير ، ولكن شعب مقاتل في ظل قيادة ثورية ، ان يلحق الهزيمة باعتى قوة عسكرية امبريالية في العالم . وكان العكس تماما ما سعت الولايات المتحدة الاميركية الى اثباته من تدخلها ثم من حربها الشامله ضده . وكانت تريد ان تجعل من « الثورة التحررية الوطنية المهزومة » في فيتنام ، درسا لا ينسى لشعوب العالم الثالث المضطهدة — درسا لا ينسى لطلائع حركاتها التحررية الوطنية . كانت تريد من الدرس ان يكون كالتالي : ان اية حركة تحرر وطني في هذا العالم لا تستطيع الخروج على ارادة الامبريالية الاميركية وتنتصر . بل ان الهزيمة هي مصيرها الوحيد . وكانت تريد ان تثبت لها بان الثورة الفيتنامية هي اخر حروب التحرير الشعبية . ولكنها منيت بهزيمتها في النهاية على يد هذه الحركة التحرريه الوطنيه الفيتنامية . واعادت الثورة الفيتنامية المظفرة صياغة مسودة الدرس التي كانت قد اعدتها اميركا وهي واثقه من انتصارها . ولم يكن على هذه الثورة سوى اعادة كتابة الدرس ولكن بصيغة التاكيد لا النفي !

وكان الفصل الاخير مما هو جدير بصفة الملحمة ، من نضال الشعب الفيتنامي الذي بدا في خريف العام الماضي ، فصلا ختم نضال الشعب الفيتنامي ضد الامبريالية الاميركية وسجل الهزيمة العسكرية التاريخية لهذه الامبريالية ،

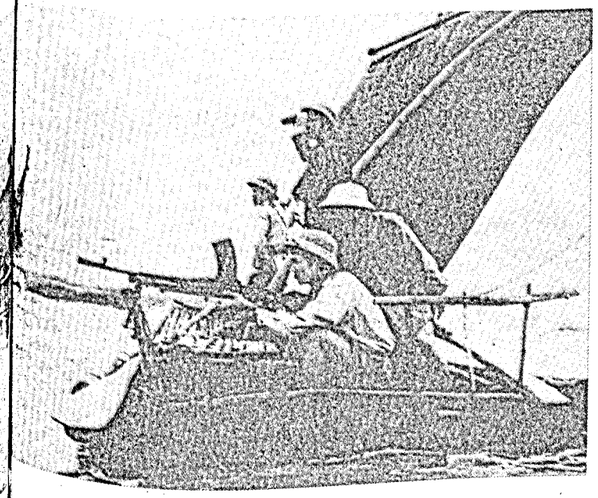

عندما ارتفع علم جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام في قلب العاصمة ، واعلنت قيادة الثورة عاصمة هوشي منه ، رمز النضال التحرري الوطني لهذا الشعب المقاتل .

● حرب الاستقلال الاولى

ومن الضروري قبل الخوض في حرب الاستقلال الاولى في الهند — الصينية ، العودة الى السنوات التي مهدت لنشوبها ، حرب تحرير شعبية ضد الاستعمار الفرنسي ، المترسخ منذ سنة ١٨٨٤ في تلك المنطقة ، التي تتشكل اليوم من فيتنام بشقيها ، من كمبوديا ومن لاوس ، وبعد ان كانت قواته قد دخلت الفيتنام منذ عام ١٨٥٨ . اذ ككل قوة استعمارية في التاريخ حول الفرنسيون مستعمراتهم في الهند — الصينية ، الى مصدر لتغذية الاقتصاد الفرنسي ، الذي كان يحتاج بصورة متزايدة ، الى المواد الخام . وكان من الطبيعي ان يؤدي هذا النهب والاستغلال الاستعماري الى دفع السكان المحليين نحو المزيد من الفقر والبؤس ، باثارة التخريبية المدمرة على مجتمعهم ، والى بروز « نخبة محلية » مستفيدة، ومتعاونة مع السلطة الاستعمارية فقدت انتماءها القومي . ويكفي شهادة في الاستعمار الفرنسي البشع ان ما شيدته فرنسا طوال ستين عاما من سيطرتها هناك لم يكن مدارس او مستشفيات او مساكن ، بل ٨٠ سجنا والعشرات من معسكرات الاشغال الشاقة ، حتى تتسع لقوافل المقاومين الوطنيين ، فالانتفاضات الفلاحية

التي كانت تقمع بالشراسة الاستعمارية المعهوده ، كانت ظاهرة مستمرة ، مرافقة للسيطرة الفرنسية .

ولكن الغزو الياباني لفيتنام جاء ليخرب لفرنسا كل شيء . ففي سنة ١٩٤٠ ، عندما غزت القوات الفاشية اليابانية فيتنام لاستخدامها كقاعدة انطلاق في حملتها ضد الملايو ، لم تواجه اية مقاومة من الفرنسيين هناك. فقد صدرت اليها الاوامر من حكومه فيشي الفرنسية التي خضعت لالمانيا النازية ، بعدم المقاومة والتعاون مع الغزاة اليابانيين . ولهذا اوكلت القيادة اليابانية الى السلطة الفرنسية مسؤولية ادارة فيتنام لها .

اما على الجبهة الاخرى، فكانت الاستعدادات الفيتنامية لمقاومة الغزاة اليابانيين تجري بسرية والحاح . فقد تجمعت كافة منظمات المقاومة السرية الناشطة للاستعمار الفرنسي ، لتتحالف في تنظيم واحد ، عرف باسم « رابطة الفيت مينه » من اجل الاستقلال عن فرنسا ، وتحت قيادة الحزب الشيوعي الفيتنامي الذي انشاه هوشي منه في سنة ١٩٣٠ .

وشهدت السنوات ما بين ١٩٤١ — ١٩٤٥ حرب عصابات تحريرية شنتها قوات الفيت مينه طوال اربع سنوات ضد الغزاة اليابانيين . وكان يقودها « العم هو » كما كان يحب ابناء شعبه تسميته . ولكن اليابان فقد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، قررت التخلص من الفرنسيين في هانوي ، فانتزعت منهم السلطة وزجت بالمسؤولين والاداريين فيها في السجون واستقدمت ارسنقراطيا محليا لتعينه « امبراطورا » عميلا لها . ولرفع هذا الانقلاب الياباني على الفرنسيين — في اذار ١٩٤٥ — انصار الفيت مينه الى تجميع قواهم لاستغلال الظرف الملائم . فقد كانوا طوال فترة الاحتلال الياباني ينشطون في مقاومتهم السرية تحت الشعار التالي : « لا اسياد فرنسيون ولا اسياد يابانيون ، ونعم لاستقلال فيتنام » . ولهذا كانت القوات اليابانية والفرنسية تتعاون في جهودها لقمع هذه الحركة المقاومة . ولهذا عندما جس انصار الفيت مينه نبض الفرنسيين بشان التعاون معهم ضد الغزاة اليابانيين (في سنة ١٩٤٣) كان الرد الفرنسي : « انكم تريدون السلاح الان لاستخدامه ضد اليابانيين ولكنكم فيما بعد ستستخدمونه ضدنا ... » (!)

ولكن بعد هذا الانقلاب الياباني حزم الفيت مينه امرهم على معارك لا هوادة فيها ضد اليابانيين ، مستغلين حقيقة ان القيادة اليابانية بعد ان اوكلت للسلطة الفرنسية امر الاستمرار في ادارة فيتنام لها ، لم تهتم ، بل ، لم تجد الوقت لانشاء جهاز بوليسي في المستعمرة ، بكفاءة البوليس الفرنسي ، بينما كانت الزمر المحلية العميلة من الضعف والعجز، وحتى التاثر بهذه الانتفاضة الوطنية المنظمة ، غير قادرة على املاء فراغ البوليس الفرنسي ، لخدمة القيادة اليابانية .

في الواقع كان العديد من الوطنيين الفيتناميين ينخرطون في ميليشيا السلطة العميلة المحلية ، فقط للحصول على بندقية، ومن بعدها كانوا يختفون في الغابات ، ويلتحقون بقوات الانصار .

ونمت مقاومة الانصار في الشمال نموا هائلا . فقد كانوا يستولون على اسلحة متروكة في مخازن القوات الفرنسية القابعة في السجون ، وعلى اسلحة اليابانيين خلال المعارك ، وعلى مخازن الذخيرة . وفي النهاية بدات المقاومة الفيتنامية تتلقى اسلحة عبر حدود الصين من مصادر في ... الجيش الاميركي ، الذي كان يقاتل ضد اليابان انذاك (!)

وما بين شهر اذار من ذلك العام والهزيمة اليابانية في شهر اب ، تمكن الفيت مينه من تحرير مناطق واسعة في خمسة اقاليم من تونكين في اقصى الشمال . وكان اليابانيون يردون بحملات اعتقالات واسعة في مدينة هانوي ، مركز الشمال الرئيسي ، ولكنهم فشلوا كما فشلت ميليشيا المرتزقة المحلية في السيطرة على حركة المقاومة المتعاظمة . اما في الجنوب فقد كانت المقاومة ناشطة ولكن ليس على المستوى نفسه مع الشمال .

وفجاة انتهت الحرب . وجاء انهيار اليابان فرصة للفيت مينه . فقد بدا الاستقلال وكانه اصبح في متناول يدهم . وفي مؤتمر عقد في ذلك الاسبوع الصاخب شكلوا حكومة مؤقتة ، تسلمت السلطة في هانوي بعد اشتباكات منقطعة مع فلول القوات اليابانية المهزومة والمرتزقة . واستقال « الامبراطور » باوداي اسفا لانه « لم يتسن له تقديم خدمة لوطنه » ، وارتفع علم الجمهورية الفيتنامية الجديدة نجمة صفراء في وسط احمر . وفور اعادة الهدوء الى العاصمة ، دعا الفيت مينه الى تظاهرة شعبية في الجنوب استجاب لها اكثر من ١٠٠ الف نسمة سارت في الشوارع امام المباني الرسمية ترفع علم فيتنام المستقلة ، تعلن تاييدها للجمهورية الفيتنامية ، بينما كان العملاء الملكيون يختفون هاربين . وتسلمت لجنة فيت مينه الشعبية السلطة هناك كجناح للحكومة المؤقتة في هانوي . واصبحت السلطة في يد الفيت مينه في الشمال وفي الجنوب الفيتنامي .

وفي الثاني من ايلول اعلن القادة الجدد اعلان الاستقلال من هانوي، جاء فيه :

« لقد حرمونا من كل الحريات . لقد فرضوا علينا قوانين لا انسانية ... وشيدوا من السجون اكثر مما شيدوا من المدارس ... نهبوا حقول الارز والمناجم والغابات ، واغرقوا ثورتنا في الدم . ولهذه الاسباب ، نحن اعضاء